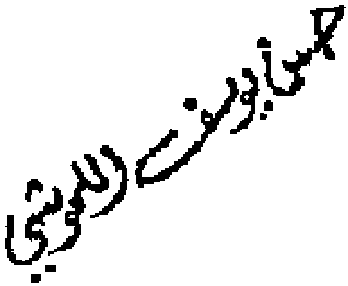
حفيد الشمس

قصص قصيرة

ابتسام عبد المولى

مجلس الثقافة العام



حفيد الشمس

مجموعة قصصية

حفيد الشمس

مجموعة قصصية

ابتسام محمد عبد المولى

الناشر
مجلس الثقافة العام

اســـم الكـتاب	حفيد الشمس – مجموعة قصصية
اســـم المؤلـف	ابتسام محمد عبد المولى
سـنـة النـشــر	2006م
رقــم الإيـــداع	6953 / 2006 م
الترقـيم الدولـي	ISBN - 9959 - 38 - 078 - 5
تصميم الـغـلاف	علي العباني
لـوحـة الغـلاف	علي العباني
التنفـيذ الفـنـي	عاطف الأطرش – نجلاء المنقوش

إصدارات

مجلس الثقافة العام

المقر الرئيس – مجمع المؤتمرات – سرت

هاتف 002185468622 – بريد مصور 002185473161

فـرع طرابلس – عمارة الواحات – شارع عمر المختار

هاتف 00218214449894 – بريد مصور 00218213335388

ص ب 2764 طرابلس

فـرع بنغـازي – الفويهات الغربية – الطريق الدائري الثاني

هاتف 00218612241577 – 00218612241578

بريد مصور 00218612241576 – ص ب 9351 بنغازي

بريد إلكتروني – LCC2_2005 @Yahoo.ca

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

تنفيـذ الطباعـة

القاهرة ت 0020123140315

زهرة الصبار

البرعم الصغير نما وخرج باحثاً عن النور.. إذ به مواجهاً لشعاع قوي أجبره على التفتح ... أن بثقت من كمه زهرة وردية موشاة باللون الأبيض ... من هول المفاجأة انطلقت صرخة فرح من عجوز ماسكاً بإناء الصبار الفخاري:-

- آه ما أجملها من زهرة!

واستطرد:-

- لقد طال انتظاري.

- شوقي لرؤيتكِ جعلني أشك في أن أكون حياً عند تفتحك.

شَحُب لون الزهرة، وهي تنكفئ قالت بحنان:-

- ولكن بيننا موعداً .. هل كُنتَ ستذهب دون رؤيتي ؟!!

دمعت العينان الغائرتان، وببحة نطق:

- لا .. لا .. لكن نهاية الخريف أقبلت وأنتِ تخرُجين مرة واحدة كل سنة.

تمعنت فيه بشوق ولهفة قائلة:

- حَسِبتُ أنـي في كل مرة أمنَـحُكَ مـا يكفيك لانتظاري عاماً كاملاً وكُلكَ شوق ولهفة لرؤيتـي .

حمل دنياه بين كفيه .. ملأ حنينه .. حلق مصرحاً:

- هـذا مـا أحْسستـُه في آخـر مـرة، لكـن .. أريـد أن أخـُـبِرَكِ بأننـي ... أننـي ...

العجوز العاشـق تهـاوى .. افـترش عمـره وذكـرياته المنتهـية.. في ذات اللحظة ذبُلت زهرة الصبار وانسلت من بين الأشواك ... ولم يبق مكانها سِوى نـُذبة ...

الأرض لا تقبُر الجثث

حفيفُ الأشجار.. صوت الرياح أيقظه من غفلته.

تفَرس وجوه من كانوا معه خلف السور.. حزم كل حقائب الشوق لتسقط الذكريات بين كفيه واحدة واحدة .. بينما ثلاثة حروف للمت نفسها .. ترجت دفء قلبه .. رقصت وغنت معها الرياح بأصواتها العالية " و ط ن ... وطن " .

وميض البرق أفزعه .. شل تفكيره لبُرهة .. صمتُ الليل أيقظه من سكينته المؤقتة .. صرخ بأعلى صوته: .

- أيها النائمون.

- أنا من خلعتُ موتي من بين ضلوعي .. الأيام حَملت نعشي .. وكساني الثرى من أخمص قدمي حتى ...

- أين أنت مني يا درب الشهداء؟

انتزع قلبه من حناياه .. نحت مكانه خارطة الوطن .. لينسى ذاكرة السنين القابعة داخله .. تأوه متألماً محدثاً نفسه: .

- إنهم أجهضوا كل شواهدنا .. فصلوا بيني وبيني .. بيني وبين الأمم .. لكنهم لن يفصلوا بيني وبين وطني .

تدثر غيث السماء .. تلحف حروف الوطن .. وأدرك أن الأرضَ لا تقبُر الجُثثَ.

ظل الليل

كما أنت الوحيد

تلكأت رجلاه .. شخص ببصره في الظلام اللامتناهي ليتأكد من وحدته في الشارع الفسيح .. تحامل على نفسه وحباتُ المطر تَساقط بقوة لتصفعه.. أدرك بسرعة أنه نسي ارتداء معطفه .. ضم ذراعيه حول صدره .. أحنى رأسه ... داخله حاور خارجه:-

- شتاءات وأنت كما أنت!!

حدج أعماقه بنظرة تائه .. أجهد بقوله:

- وما كان توقعك ؟!

تسارعت خطواته البطيئة .. كان كلما رفع بصره يغمض عينيه تفادياً لتسلل سهام الغيث إليهما ... البيت بعيد.. الجوع يقرصه .. جمع قواه .. حفز نفسه لغياهب الظلمات .. مضى محاذراً كي لا تبتلعه الحفر التي موهتها السيول .

دفعة واحدة انبثق مخزون ذاكرته .. قذف به لزمن الكُتاب والشيخ ينبهه ومن معه من تلاميذ بعصاه الطويلة .. يصوب الخطأ ويشكر الصواب ... تنطط بذاكرته داخل سور المدرسة.. لاحت نصائح معلمه من بعيد.

أسدل جفنيه ولى الماضي هرباً من الحاضر.. وتمتم لنفسه:-

- عبثاً ضاعت سنوات دراستي.

وقف تحت عمود الإنارة الوحيد الذي يتدلى منه مصباح معتم.. أسند ظهره على العمود.. لم يعد بوسعه مواصلة المسير.

غزاه إحساس كمن مات قبل أن يولد.. وكأنه شجرة سلبت أوراقها الخضراء بفعل رياح الخريف ولم يبق منها سوى عظم مجرد من الحياة.

من وراء نظارته السميكة تسلل إليه حزن وألم كبيران.. أطرق قائلاً وهو يغالب أحزانه وآلامه: -

- رأيت وسمعت ما كانوا يرددونه على مسامع الجميع.

- قالوا، والعهدة على الراوي، بأننا سنتوظف حال تخرجنا.

دس يمناه في جيبه يلتمس الدفء.. فيما يسراه يداري بها المطر.. ارتجف من البرد.. وصدر عنه صوت:-

- يا لسذاجتي وحمقي !!

ارتفع صوت المؤذن من جامع المغاربة " الله أكبر... الله أكبر ".. طمأنينة تلبست نفسه عقب سماعه للصوت العذب فردد:-

- صدقَ الحق... صدقَ الحق.

تلاعبت رياح الليل به .. كأنه يصارع شخصاً ... لكم عمود الإنارة .. فأنبعث منه ضوء باهر.. ضرب على رأسه ... طارت نظارته لتقع أشلاءً متناثرة في ظُلمةِ الليلِ ...

طائرة ورق

سـرورها الطفولـي لـون صـوتها بظـلال دافـئة .. حيـنما دس بيمناها خيط لطائرة ورقية ملونة .. أوحى لـه بأنها ملكت الدنيا .. لتحلق عالياً في نشوة .. وتعانق السماء بطائرتها.

تلاعبت نسمات البحر بخصلاتها الفاحمة .. بولـهٍ منحته طرفة عين من عسل مصفى .. انفرجت أساريره فيما يفترش رمال الشاطئ والمد يشاكسه .

تلمست طائرتها .. بأنامل صغيرة لملمت خيطها الطويل .. وهي تعدو راقصة ضمتها لصدرها .. أغمضت عينيها لتجد نفسها تداعب سحابات متشكلة بأشكال تحبها .. لاحت غمازتاها .. وهي تنساب بين تشكلات لحيوانات جميلة .. نباتات بألوان زاهية .. أشياء أخرى أعجبتها ... تحبو عليها حيناً وتقفز أحياناً أخرى .. فيما طائرتها تتحد معها تشاركها فرحتها .

باغتها شكل غريب لشبح كبير قاتم .. لم تعرف أوله من آخره .. تلحفها الفزع .. استل منها صرخة مدوية ... كسهم نافذ عكست مسارها لتجد شبح السحاب يحيط بها ... أحست بقبضة لم ترها ..

أنتُزعت منها طائرتها .. هوت بدونها للأرض .. نادت أشكالها ونادت .. لكن سكون الأموات تلبسهم .

ارتطمت بمياه البحر. فزعت أسراب النوارس ..غادرت صفحة المياه .. تجهمت وأدركت أن كل مباهج الفرح تلاشت ليحل محلها شعور بالتعفن والقذارة وكأنها مست بيدها شيئاً كريهاً .

اهتزت عندما انتزعها صوته من تهيؤاتها .. بنظرة للسماء لمحت طائرتها محلقة عالياً .

هستيريا الكتابة

بخطوه الثابت وقف أمام البائع .. بنظرة المتفحص الباحث عن شيء ما وزع نظره بتبادل على محتوى المكان .. كُتب مرصوصة من فرط تنظيمها يظنها الرائي نقشت على رفوفها .. أدوات مختلفة الأشكال .. متعددة الألوان .. مرتبة بطريقة تحار معها في الاختيار.. طابعات .. حواسيب .. أقراص .. والمزيد المزيد مما تزدان به المكتبة ...

تردد قليلاً في لفظ عبارته وكأنه يخشى رد فعل البائع ومن حوله :-

- أرني أجود الأقلام وأرقاها ... وإن صدق القول أغلاها !!

أشاح البائع بوجهه سريعاً .. وقبل أن يلاحظ مبلغ اندهاشه وامتعاضه مما قال .. لبى له الطلب ... وبسرعة ترك المكان...

في مقهى يؤمه العديد من الأدباء والكتاب اتخذ لنفسه مقراً .. على طاولته المعهودة نثر أوراقه .. وبسلة المهملات رمى العديد منها .. نظر باستخفاف لمن حوله .. قام يجر كرسيه بشكل عديم الذوق نحو شاب يرتشف قهوته .. فيما أمامه مجموعة قصصية لأحد الكتاب الليبيي .

طارداً لغة الصمت بلغة الإشارة .. حيا الشاب الجالس أمامه .. وتجرأ على البوح :-

- خيالي يداعب السراب ... يجر الأسى كلماتي والأنين ... وحين تأخذني نشوة الكلمات أهيم مع قلمي ... وعند صحوي من هيامي .. تبتعد عني كلماتي وعنها أبتعد.

عصره ألم مفاجئ لم يستطع معه التفكير.. تنبه لصمت رفيقه .. بدأ ضاحكاً وانتهى متهستراً .. والخوف باد على محياه عما عساه يكون رد فعل الشاب الجالس أمامه .. انسد مجرى أفكاره .. توترت أعصابه .. أومأ برأسه ..وبدت هزيمته تجر أذيالها ... قذف بكلماته:-

- إذا لم تستطع أفكاري أن تصل إليكم .. وكلماتي أن تخترق حواجزكم .. فسلاحي الجديد سيصيبكم .

- ... أمتلك الآن سلاحاً لرقيه وجودته وغلو ثمنه .. بوسعه أن يصعد إليكم ويجتازكم.

- هكذا أنتم لا تعيرون كتاباتي اهتمامكم .. ذات يوم سيصدمكم الواقع .

- ... لكن ... لكن .. عرفت السبب .

احتار رفيقه في أمره .. وظن أن تلك السنوات من البحث عن الكلمة .. ومطاردة رواد المقهى من الكُتاب بقصاصاته .. التي

لا يُعرف لها بداية من نهاية ستصلح من حاله .. وتجعله يعترف بحدود إمكاناته وقدراته .. إلا أن سوءًا قد ألم به هذه المرة دوناً عن المرات السابقة .

تنبه جل من بالمقهى لما يدور حولهم .. تحلقوا حول طاولاتهم يتهامسون وينعتون الرجل بالجنون.

ذهل الشاب مما سمعت أذناه .. ورأت عيناه .. خفق قلبه ألماً لحال الرجل .. نظر إليه ليلحظ في عينيه ذلك الاضطراب الذي ازداد عمقاً .. فجأة وجده يردد كلمات سبق له أن سمعها منه أثناء تلك الحالة التي أصابته :-

- عرفت السبب ... عرفت السبب .

بأصابع مرتجفة فرك عينيه .. شعر باليأس .. لا لشيء إلا لأنه كان متمسكاً بالأوهام .. والجاذب الذي كان يشده نحو الكتابة أمسى أكثر من مجرد سلك كهرباء مقطوع التيار.

جرجر رجليه مخلفاً شواهد تذكره بعبق الماضي .. بعد أن وجد صعوبة البقاء في واقع الحاضر.

ضيق لازال يعتريه .. وهو يتذكر همسات الرجال، وتحلقهم حول طاولاتهم ونعتهم له بالجنون .. رغم مرور عقد ونيف من الزمن على هذا الموقف .

سنوات أمضاها في القراءة والكتابة متجنباً كل ما يلهيه عن الوصول لمبتغاه .. طغى عليه الارتياح مثل رذاذ ساخن في يوم شديد البرد .

نشر مجموعته القصصية الأولى ... متوجساً الرفض .. صدمه قبول الأدباء وحتى عامة الناس لها ... أخرسته المفاجأة حين جاءه النبأ كصفعة أيقظته من ذهوله المؤقت .

أمضى ليلته يتقلب بين ما كان يتلبسه من يأس .. وبين سعادته الغامرة بمولوده الجديد.

حفيد الشمس

أرقه وسهاده .. لم يكن لهما علاقة بالتعب أو المرض .. ولا حتى بتعقيدات وهموم المجتمع المتعايش معه .. إنما لأن عبق الماضي يلاحقه بأطيافه وشواهده .. وهو الذي ظن أنه قد تركه في رعاية قرص الشمس المولود وراء تلال الرمال الذهبية .

رمق المرآة جيداً .. ابتسم بجفاء لصورته المنعكسة وخاطبها:-

- لقد تجاوزتِ عقدك الرابع ...

تملك صورته شعور مؤلم بتطفله عليها .. حينها أفصحت:-

- برودة المكان جعلت منك لوح جليد يمكن لأي كان تشكيله.

صعق لهول ما سمع من كلمات كانت بلغته الأم .. التي لم ينطق بها منذ أمد بعيد .. تبددت الدهشة من عينيه .. حل مكانها دفء قديم.. شعر بالوحشة .. تهاوى مستنداً للجدار البارد .

غالب دموعه .. لأول مرة روحه يجرفها الانهزام .. باتئاد خطا نحو صندوق عتيق .. أخرج زجاجة صغيرة مملوءة تراباً بلون التبر .. حاذر في فتحها كي لا تنكسر فوهتها .. نال مبتغاه .. تحسسها بأنفه .. وكأنه يشم رائحة عطر نقي باهض الثمن .

ضمها بشدة أوهنت فيه كل قدرة على مفارقتها .. رأى فيها أمه .. وهي ترتدي رداءها المزركش .. وتضع على رأسها لفافة ذات لون أحمر ممزوج بالبني .. تتوسله بأن يعود عن قراره .. فيما تناوله كوب شاي أخضر... حين أدارها لاحت صورة والده يحرك بأصابعه حبات الكاكاوية فوق جمرات الكانون ..ويصرح لوالدته بأن نزق الشباب يسيره، وأنه نادم لا محالة.

تسلل من بينهما .. ليجلس القرفصاء تحت سدة العنب التي طالما أحبها .. وقبل أن يعود عما عزم عليه .. اغترف قبضة تراب لتذكره بهويته.

تمكن البرد من أوصاله .. سرت ببدنه قشعريرة أعادت حاضره من ماضيه .. وجد نفسه مازال ماسكاً بزجاجة التراب .. فيما أنيسه الوحيد صوت مذيع يتكلم بلغة أجنبية .. هب واقفاً أخرس ذاك الصوت الغريب .. بظهر يده مسح دموعه .. وبدون إسهاب في التفكير عزم على الأمر.

استقرت خفقات قلبه .. تملكه شعور غريب هو مزيج من الخوف والحنين .. حزم خوفه .. سافر لحنينه .. ضم إرثه بين يديه .

قلبه كاد ينتفض من بين جوانحه .. عندما وجد من أحبهم متلهفين لعودته وكلهم شوق لاحتضانه .

نـام مـلء جفنـيه .. رأى مـن بـين أحلامـه أن أوراق الـنجم الذابلة مـا كـان لها أن تغطي سنـابل الشعير السامقة لأنها أرادت أن تلمس الشمس ..

رائحة الجسد

إهداء لشعب العراق

ذات ليلة لم تنم فيها ..أطالت التفكير.. تنازعها النوم واليقظة من جراء السكون المخيم على المكان .. بانتظار قرار حاسم .. في هذه اللحظة القصيرة أحست كأن حمى تمكنت منها .. إذ ثقلت أطرافها ولهيباً غزا جسدها .. ذاكرتها .. اندست تحت غطاء الليل .. لفها إحساس بحب جارف وحنان كبير لديار أقسمت بأنها ستكون ناراً مستعرة وفخاً كبيراً لمن يعبث بها ... ومن يدنو منها سيتربصه الموت .. بين هذا وذاك تثاقلت أجفانها .. انسدلت .. وما عادت تشعر بالزمان ولا المكان ... في ذات الوقت كانت فلول النهار قد بدأت تطارد جحافل الليل.

ليلتها التي قضتها فريسة للقلق والأرق أرهقتها .. حزن .. ألم .. دمع .. يملأ مآقيها .. وهي جالسة تتفرس في شاشة التلفزيون التي تنقل أحداث العدوان على شعب عانى وأطفال جاعوا .. قصف قوي .. دخان كثيف .. يغلف بغداد .. البصرة .. الموصل .. كربلاء ..

ويحول مصابيحها لأشباح آلت إلا أن تبقى مضيئة براقة .. تصارع النيران الهوجاء التي تحرق كل شيء تصل إليه.

فرت من الزمان بأفكارها المتعثرة .. ذات الدروب الملتوية سعياً للهدوء .. لكن أنياب القصف ... فحيح الطيران .. كانت أقوى منها .. راحت تنهشها دون رحمة .. أمعنت النظر لمواكبة أحداث الحرب ..هالها ما رأت .. لجم نظرها منظر لطفل شهيد .. راعها ما حدث له .. كان جسداً بلا روح .. عينان كأن النوم ملأ جفونهما .. ثغر أبى إلا أن يتبسم متحدياً عناقيد القنابل .. معلناً الصمود .. رأس بظلام الليل لونه .. بقي عظمه .. سُلخ جلده .. ليشكل لنا وردة كأن بتلاتها نحتت بدقة فائقة .. وقطرات الدم الملتصقة به مثل الندى تلمع في سواد رأسه كأنها نجوم في كبد السماء.

رغم جنون الموقف بكى قلبها عليه .. انقبضت لرؤيته جسداً بلا روح .. احتضنت نفسها .. أغمضت عينيها .. حلقت بأجنحة الأخوة .. وعاطفة الأمومة لدار السلام .. ضمت رُفات الصبي .. شعرت بهول المكان وما احتواه من عوالم غريبة .. فاحت روائح ممزوجة بين دماء .. تراب .. دخان ... لكن ما طغى عليها وتحسسته بأنفها .. كان دماءً لجسد صغير مسجى .. دماءً حفرت التراب بكلمات تقول:

- لم يدعونا لحرثنا نتأمل ....

من جهة أخرى ذات الدماء وعلى عمق أكثر من التراب كتبت:

- دماؤنا زهراً ستنتج ... نخلاً باسقاً ستثمر.

ما كُتب لمس ثنايا روحها .. عرفت مبلغ صدق أحرفه .. وما عادت خائفة من شيء ...

مرارة الحب

إهداء للصديقة هدى السراري

لم يكن شعوراً بالغضب أو الصدمة ما انتابها .. إنما شعور بالحزن .. الألم .. الاغتراب ، في ليلة كانت تنبض بالحياة .. الفرح .. الزغاريد المتعالية .. إنها ليلة العمر كما يقولون .. ليلة عرسها .

داخل بيتهم تحلقت مجموعة نسوة حول عالة الشامي .. وهن يثرثرن بأصوات صاخبة وأياد مرتفعة .. لا تفقه من حديثهن شيئاً حتى وإن ركزت على حركة شفاههن .. فيما تقابلهن من الجهة الأخرى وعلى مسافة ليست ببعيدة عجوز متكئة على وسادة .. ترتدي رداءً أزرق اللون بخطوط طولية بيضاء .. تتدلى من جبينها الأبيض خصلات حمراء .. وبين أناملها المخضبة بالحناء مسبحة توقفت عن الحركة لا لشيء إلا لأن سلطان النوم أقبل عليها يسامرها .

في زاوية من زوايا البيت جلست فتاة شاردة التفكير.. ترتدي ثوباً وردياً .. تضع على رأسها وشاحاً أسود.. تنبهَتْ لوجودي .. نظرت إليّ بعينين دامعتين تمَكنتْ من أن ترسُم بِما أرادته أن يكون ابتسامة باهتة .

رغم بهجة صديقتي بزفافها بدت صامتة .. شاخصة .. مضت لحظة من لحظات الصمت .. صوبتُ خُطاي نحوها .. وهبتُها نظرة متعددة المعاني .. حب .. حنان .. .. فراق .. اشتياق ... ولا أدري ماذا بعد.

ستغادرنا لبلاد بعيدة .. أناس غرباء .. وعودة ليست قريبة .. هذا كله جعل سحابة من الكآبة تحوم علي .. لم أستطع الفكاك من أسرها .. أحسست أن بهجتها برفيق العمر موءودة .. لأجله ستفارقنا .. نحن .. بيتها .. مدينتها .

تواردت الصور أمام عيني كيف كنا نعمل معاً .. نمرح معاً .. تسليني بعذب الكلام .. أمحو عنها غبار الألم .. أمتص غضبها ، ونحلق معاً عالياً بأجنحة لا يمتلكها أحد سوانا .. هذا بعض مما كنت وصديقتي نقوم به .. فكرت كيف ستكون غرفة المكتب بأجهزتها الصماء وجدرانها البيضاء بعد الغياب ..

اقتربت أكثر منها أملأ عيني بملامحها .. وكأنها ستمحى من ذاكرتي .. فيما أنا مترددة بين أن أضمها بين أحضاني .. أو أودعها بنظرة دامعة دون احتضان .. لأننا حينها سنذوب كشمعتين محترقتين.

وفيما أنا هكذا .. وحين أصبح للصمت دوي مرتفع.. لم تَستطعْ أنْ تتحمله زاغت عيناها وأجبرت نفسها على القول :-

- أرجوك لا تودعيني ؟!!

وكأنها كانت تقرأ أفكاري .. أشحت بوجهي عنها عندما أحسست بالدمع يطفر من عيني وقلت لها :

- لك ما أردت .. لكن لابد لي من قبلة .

هزت رأسها موافقة بعينين شابتهما حرارة البراكين.. أقبلت عليها قبلتها .. سرقت خلالها من طيب ثيابها .. ما يذكرني بها كي أعطر به ظلها في مكتبي .. بيتي .. وفي السر تمنيت أن لا يتعثر قلبها بالأنين.

كَمَدْتُ صرخة احتجاج ماتت فيها الكلمات .. تردد صداها داخل ثنايا قلبي وروحي لَمَسَتْ قلب صديقتي بلمسةٍ ساحرة .. انبعث دفء مني إليها .. وكانت رعشة الدفء وظلال صديقتي تطوف بكل مكان ، وتخبرني أنه منذ عهد آدم وحواء كان على المرأة أن تدفع الثمن لأنه في وسعها أن تتذوق المرارة مع حلاوة الحب ...

لوعة الفقد

شواهد المكان باتت مملة .. كئيبة .. اكتسى بريقها طبقة من العتمة، ولم تعد تعني له شيئاً ... عندما سجى رفاتها بين يديه تحسسها .. شعر بهول الموقف .. وما احتواه من عوالم غريبة .

ألمه وحزنه .. لم يكن مردهما فقط ليقينه بأن انبلاج النهار لملم محاجر الوجد .. ولوعة الفقد .. بل لأن من أحبها اسْتَلتْ فؤادها لتسلمه له دون تلكؤ .. قايضته ببضعة منه .. تحْملُ اسمه .. تبقى معه .. تحتفي به .. تُسليه .. ويرى وجهها فيها .

لما رأى الجوى يعانقه أفصح بصوت حاسم المخارج، قاطع النبرات:-

- كأن براح الكون لم يسع إيواء أنفاسك .. ودفة الزمن لم تعد تحفل بك .. ها قد أصْبحتُ الآن أراكِ بعيدة عني رغم أنك هنا !!

- من أين جُبلتِ لتهزي بدني .. تسلُخي كياني .. وتمزقي أطياف روحي ؟! .

داخله دثر خارجه .. وكأن صلاحية المكان والزمان تسربت من

بين أصابعه .. جالت بنفسه رؤى عديدة وأحاسيس غريبة .. طفق لسان حاله يقول : -

- بِنهم التهمَتكِ دنيا العدم .. بدون إرادة منك اعتدْتِ الظلمة المفزعة .. خفقة فؤاد واحدة منك ، تُشعرني بأنك هنا .. أفضل من الخلود في فراغ دنياك .

ردد عبارته.. بعينين متورمتين .. وجهٌ شاحبٌ مُجهد .. وقلبٌ دامٍ .. صوب إليها نظرة تائه .. مشتاق .. رغبة منه في احتضانها والكون معها .. مد يده في تراخٍ جذبها نحوه .. نفذت يده الأخرى في أغوار شعرها المنسدل .. فجأةً اشتدت قبضته عليها وهام قلبه يشدو أغنية .. نصفها فرح .. ونصفها الآخر لوعة وحسرة.

شعر بأناملها تداعبه .. تحنو عليه ..تهدهده .. تناجيه استجاب لهذا الخدر الغريب الجامح .. وجوع يعربد في أعماق قلبه .. وضجيج يدك صهيل خطاه .

زاد تعلقه بها .. احتدم شوقه.. انتابه شعور لا عهد له به من قبل .. لملم قلق أنفاسه .. ولأول مرة يجتاحه وعي كامل ..

في كنف الضياء

برد الليل .. ضوء القمر .. روعة الأمل .. نشوة الوجد .. خيالها الثمل .. حلقوا معها لملامسة نجوم السماء .

حبست أنفاسها حين دنا منها نجم ليس كباقي النجوم .. اغتسلت عيناها حيرةً .. ارتوى جوفها ذهولاً .. عندما امتزجت ملامحها بذات النجم المسند على بقايا وجوه معدومة الملامح .. مختلطة بغبار النسيان في قاع مهجور .

مرت عليها ثوان وئيدة كأنها عام بأكمله خلالها رحلت معه في كنف الضياء .. لم يستطع الانتظار أكثر .. هيأ نفسه .. انحنى لها قبلها ودون استئذان احتواها بداخله .. توحدت خطاهما مجدفة نحو تيار مشاعرهما الجارف .

ماذا حدث بينهما منذ التقيا .. لا تعرفه .. لا يعرفها .. بينهما أرض وسماء .. بينهما ريح وماء .. لا شيء بينهما سوى أنهما التقيا.

سوت نفسها استيقضت فيها شهوة المعرفة .. قررت أن تبتعد عن النجم الغريب .. أن تعيد ملامحه الضائعة وتقاسيمه السابحة في العدم .. شد الصمت الغريب الذي ران المكان اهتمامها

إلى أن هناك من يحدثها .. ركزت انتباهها .. أرهفت سمعها .. فإذا بالنجم يهمس لها:-

- لا أحد يشبهك .. أنت شيء كالمحال .. أنت وحدك مليكة الريح والغيم والنار...

أذهلها قوله لحد السكون .. هجر اللون وجهها .. جف حلقها .. ارتعدت بشدة كانت واثقة بأنها ستهوى ما لم تكن هناك قوى خفية تبقيها هنا .. تنبهت لحالها .. ثبتت كما لم تفعل من قبل .. بتقاسيم معدومة كأن الموج ابتلعها .. ومن ركن قصى لا يراه أحد نظر إليها نظرة بددت مخاوفها وتوترها .. ليحل محلها راحة نابعة من الذات .

دار رأسها بأفكار غير مترابطة .. جاهدت كي تعود لواقع حالها .. حاولت النطق لأن الصمت خنق فيها كل أمنيات البوح والكلام .. كانت الكلمات تشاكس لسان حالها .. لم تستطع صياغتها في جملة كاملة متناسقة .. ما أذهلها قذف بكلماتها من دون تفكير، أوترتيب وإذ بها تبوح:-

- حملتني السماء إليك بلا ندم .. رغم الشتات .. ورغم اندلاق الأماني في دوامة الهذيان.

اكتسى النجم لمعاناً .. انعكس عليها .. وفي ذات الوقت طغت على المكان رائحة مميزة .. تحسستها بأنفها .. تمعنت في النجم وكأنها واثقة من هويته .. تلكأت متحدثة بذهول:-

- رائحة عطرت .. إنها .. إنها .. إنها لى .. لا يملكها أحد سواي .. لأنها أمنياتي الزهيدة .. وأحلامي الغضة .. أنت .. أنت .. أنت هو .. وهو أنت !!.

أحنت رأسها .. تلاحقت المشاعر بداخلها .. أطبقت يداها على النجم .. اهتز .. انتفض .. ثار ..مزق سكونه مخترقاً جدار الصمت بقوله:-

- أنّى لها أن تعرفني بعد أن تحولتُ لنجمٍ من أجلها .. أعدُّ الليالي وأغرس انبلاج النهار في صفحة المياه.

عناق الكلام

قربه منها أفقدها تعقلها .. أفلتت أحاسيسها من قيودها .. تفجرت تجاوباً لنداء عينيه .. دار بها المكان .. انسلخ منها الزمان .. لم تعد تجد نفسها لآن أشياؤها فرت من أطوارها الكامنة .. عادت إليها أطياف الماضي بشغف الحاضر مستدلة بتعابير وجهه المنحوتة داخلها .. التي طالما سحرتها وهامت بها .. لا سيما عيناه اللتان تنفذان مباشرة إلى آهات فؤادها ببريقهما الدامع وحوارهما الصامت إلى روحها ... بأنها وحدها من بددت وحشة أيامه ومعها ليس للأماكن حدود .. وأن حسرتها وخوفها بأن تفقده يوما لا توازي الأسى الذي يمزق أحشائه بمجرد التفكير في أن يولد نهار لا يجدها أمامه.

أحست أنها تُخرج الحزن من طيات الماضي .. وهي التي تترقب المستقبل بشوق وصلواتٍ صامتة .. فكرت بحاضرها الذي تعيشه .. تلبستها طمأنينة وهدوء زحفا رويداً لجسدها .. روحها .. وعالمها الخفي .. شعرت براحة تغمرها .. رمى تفكيرها بحاجياتها العتيقة الصدئة التي احتفظت بها منذ أمد بعيد بصندوق الحكايات .

ثمة أنين يحتضر.. ثمة فرحة تولد .. ونداءات بعيدة توقظ فيها ابتهالات لرؤى جديدة .. دنا منها سحر الليل مسلماً رايته لانبلاج النهار الذي ظنت أنه انتحر.. ولم يبق منه سوى رجل ما همها سواه في الدنيا .. يختبئ داخلها .. يشاكسها .. يعانقها بصفو الكلام .. وهو وحده من نجح في أن يهز شراع قلبها حافراً فيه رياحين الأمل.. مخبئاً نسمات الرجاء .. فيما يرجم جوعه في حضرة الليل واحتدام الشوق .

قناديل اللهفة

عبر أنين الريح القوية .. أحس بضربات غريبة في أذنيه .. ثقل في لسانه .. وبأنه لم يعد يستطع إيجاد أنفاس متتالية تشعره بالحياة .. اختنق صوته .. وكأنه يخاف أن لا يكون له براح في دنياها بعد الآن.

بدأت الأرض تميد به .. قاوم اندفاعاً غامراً للدخول في دوامة الهذيان .. صوب نظراته تجاهها بعينين لا تغيبان عن محياها الخجول .. وكأنه يملؤهما بوجودها .

شعرت بخطر الواقع .. هبت إليه .. أمسكته بقوة .. شدته بعنف .. ارتعش جسدها وهي تلفه .. وكأنها تريد حمايته من القدر .. احتوته داخلها أكثر فأكثر .. أرادت أن تلتحم به حين أحست بألمه الجسدي .. خنقت كلماتها بعناق يلهب الحرارة نفسها .. هامت فيه بمرارة .. فيما غابت الدماء عن وجهها .. وحين سلمت بأنه يتلمس طريقه عبر ضباب كثيف .. وبدأ كما لو أنه تاه في منعطف صعب من الزمن .. بات معه الحاضر ماضياً .

تأوهت بعواطف ممزقة .. صرخت بصوت كالفحيح :-

- لن يبتلعك الوهن .. ويضمك الأنين !! .

- سأحمل اختلاجات !! سأحمل اختلاجات المنى كي تتطاول ظلالنا .. نطوف العالم بأحلام هي لنا ونحن لها .. وأنحتُ بداخلي كيف استطعنا معاً أن نلون دروب الحياة واستبقنا فيمن يهب الآخر شبق الدنيا .. سأحملها لأناجيك .. وأسمع رنين صوتك.. حتى وإن كان بعيداً لأنه بداخلي قريب .

كان وجوده بداخلها عذاباً حلواً ومراً في آن واحد .. ظلت عالقة في كابوس من عدم الإدراك لما يدور من حولها .. لا لشيء إلا لأنها ترفض الواقع .. ألقت عليه نظرة مزقتها .. وعرفت من خلالها أن العمر لحظة .. ارتجلت كلامها بصوت متثاقل:-

- جسده ارتكب خطأً بتركه روحه تنسل من بين قناديل اللهفة المعلقة على بوابة الزمن .

كادت تتهاوى من هول الموقف .. لأن قدماها خانتاها وضعفتا أمام مرآه شمساً شيعت دفئها وغادرت .. سحبت نفساً متعباً .. فاضت دموع المرارة .. كسر الصمت لهجته .. حين تأوهت بصوت يكاد يصل لحافة الجنون:-

- لن يلف النعاس جفنيه !! .. لن يهب أنفاسه للعدم !! .. لأني لن أجد الوجود بدون وجوده !! .

طبعت شفاه الحنين على جبينه .. بصمت تلهفها عليه .. تدثرت وجنتيه .. ارتجفت بعنف .. وعرفت بأنه حينما تقسو الأقدار على البشر لتزيد من عذاباتهم وتنتزع آهاتهم فإنه بإمكان السماء أن تمطر حباً ليكون بلسماً عذباً .. وتضاء نجومها على شرفات القلب فينبت عشباً .

بيوض الريح

رغم أنه سلم جسده لجمر الحقيقة .. إلا أن روحه الموغلة في سديم التلاشي تعلقت برحم الأرض تناشد ابتهالات من يحب بأن تلفه .. تحتضنه .. تتلبسه .. تسكن فيه .. لأنه يرتقب في مفترق الطرق بإعياء شديد .

جاء صدى مناجاته لها من زاوية مظلمة أضاءت ذاكرتها وأفكارها .. لأنه استجاب لابتهالاتها .. وشعر بحرارة جسدها وخفقات قلبها المجنون .

اجتاحتها موجة فرح .. تلعثم .. هستريا .. جعلتها تقترب منه أكثر فأكثر تشده نحوها .. تتحد أنفاسها اللاهثة بأنفاسه المتعثرة في عودتها .. بدأت تجول على محياه .. تدلك بشرته الناعمة .. قبلته بلظى الشوق .. التهمته بنهم .. وجهت دفة أشرعتها نحو شعاع الشمس المسرج من نجوم الليل الوليدة .. أرسلت فرحتها المعطرة بأريجه لكل الدنيا تخبرها بأن قلبها يتمه الحب.. وأن حنينها عاد ليهزها على أغصان الورد .

استدرجت روحه شهوات الأمل .. أبصر دنياه المزهرة .. بدأ

وجهها يسبح أمامه .. أسدل جفنيه ليعيد تركيب صورتها .. انحنى رأسه للأمام كزهرة مكسورة العنق، تقاوم لتعطي مزيجاً من روائح معطرة.

حُفرا المشهد في أعماقها .. سرعان ما أصبحت هادئة سطحياً رغم اضطرابها الداخلي .. طارت بدموعها الناعمة المسندة على نونها المعطاءة المشتاقة .. لتحط على طواحين الهوى برفقة جنية السماء .. التي حدثتها بأن تخبر عن حكاية عمرها في أسفارها ... عادت بوهج الضياء .. حطت على عشب روحه .. تطعم الحمائم حباً دافقاً .

لفه شعور لا تستوعبه قواميس الأرض .. احتواها بطرفة عين .. ليكتمل المشهد أغمض عينيه .. ضمها إليه .. سكنت فيه .. عزف ألحانه على أوتارها المتلهفة .. حينها تلاشت لحظات الزمن .. لتعلن عن ولادة بيوض الريح .. ولم يبق أنيساً لهما سوى معالم المكان الذي أبى أن يتلاشى ليشهد كيف يمكن لليل أن يخطف أنفاس النهار.

ديـــدش

حينما حطت به الطائرة أرض المطار.. جالت عيناه عبر شباكها الصغير بحثاً عن معالم المدينة ... سعياً لقراءة عنوانها الخفي.

وبينما هو كذلك ، وحينما سلمته قبضة السماء لحضن الأفق.. شرد تفكيره في حضرة الواقع المبهر بأضوائه البراقة ، بحثاً عن مدن أخرى أصغر يمتلكها وحده .. وعندما يريد الولوج إليها ، ينسلخ من ذاته .. تاركاً شغاف قلبه تستوطنها.

تجلت له مدينة غير مسورة .. جدرانها ملونة .. بارزة .. أرضها لا تُنْبِتُ إلا عُمراً مشتاقا ، ولا تُزْهِر إلا هزيم رعدٍ نسج غيومه لملامسة سعف النخيل ، للم أشياءه .. وضعها أمامه .. لاح له طفلٌ يحبو ، يلتهم الدنيا بعينيه الناعستين .. معها شَكل مَنارات شاهقة فيما تلتف حوله خيامٌ محصنة تُدَثِر عراء ليل تسلل مكحلاً عيون الفجر.

استطاع أن يلتقط ذبذباته .. سكناته .. حركاته .. رآه حذوه يتفتح زنبقة بألوان ناصعة البياض كقلبه، فيما يوسده أبوه ساعداً ليناً .. وترضعه أمه دفئاً يتشكل .. يمتزج .. لينتصب على آهات عشقه.

همس داخلُه : ـ

- يا إله الرحمات !! إنني .. أحِن شوقاً لروحٍ تعبثُ داخلي .. تُدْفئني .. تُؤنسُني .. أعُدُّ معها مراجيح القمر .. أغفو منفوش الشعر في ضياء ظلمتها .

دندن لبضع أغنية من أغاني جدته .. طالما رافقته وساندته في أوائل خطوه:.

- ديدش حب الرمان ... ديدش خبزة ودهان ديدش أمه جاباته ... ديدش يا سعد خواته ... ديدش بدل خطواته ... ديدش من يمشي زيه .

ابتسم .. هز رأسه .. عاد لقاع ذاكرته .. تجلت أمامه تلك الخرافات التي ما كان لينام إلا حين تهمس بها الجدة له ، وهي تشمله تحت غطاء ردائها البارد فيما تخبئ أنامله الصغيرة بين دفتي يديها الناعمتين المخضبتين بالحناء قائلة : ـ

- كان يا ما كان في قديم الزمان .. وسالف العصر والأوان .. كان في سلطان .. وما سلطان غير الله .. واللي عليه ذنوب يقول استغفر الله .

تنبه لنفسه وهو يردد : ـ

- استغفر الله .. استغفر الله .

لاحت نواجده فيما يزدرد طفولته في حب .. ضحك ضحكة مواربة مجنحة بأحلام مفعمة عاطفة .. وشوق.. انقاد سريعاً لأهواء نفسه وضعفها .. .. امتد إحساسه عميقاً بحثاً عن مطارح اللعب .. تجلت أمامه مدينة أكبر.. ذات قلاع وحصون .. ناوشته ببريقها .. قربته منها بصخبها الهادئ .. ومن عمق تكوينها سألته بغتة :-

- أمازلت تذكرني ؟! أم أنك كبرت عني وترفعت ؟!

- أين أنت ؟! وماذا حدث للزمن المخبأ فيك ؟!

- ماذا عن أحلامك ؟! وهل احترق هواك أم حرقك ؟!

تعثر.. تشابكت خطواته إليها .. تفصد جبينه عرقاً..

- من يعرف كل هذا عني!! .. من يجرؤ على سؤالي مثل هذه الأسئلة؟ أليست هي وحدها لها حق المعرفة !! .. أتظن مدينتي بأنني نسيت ذكرياتي وشقاوتي فيها .. لا ؟! ليس مثلي من يفعل ذلك !!

اخترقته أسئلة مدينته وكأنها ريح عاتية تسلك الجسد بشراسة .. عاد من ذهوله .. تنبه فكره المشدوه .. سعى نحو المدينة المشرعة الأبواب .. و في ذات الوقت انفكت عقدة لسانه قائلاً : .

- أنتِ نُحِتِ داخلي منذ ولادتي .. حتى وإن كَبُرتُ وابتعدتُ عنكِ فأنت قريبةٌ مني ..

- أما أنا مازلت كما أنا ولم أتغير.. إلا أن شكلي بدأ يكبر قليلاً وملامحي بدأت تتبدل .. ومثلُكِ لن يَحَار في معرفتي .. لأنني شَبِعْتُ من ثَـراكِ، وإليه أعود.

- أما أحلامي !! ألازلت تذكرين تلك الأحلام التي كنت أهمس بها إليكِ ؟! هي كما كانت وحيدة .. متمادية .. تتأرجح بين الغرق والهذيان .. مازلت أحتفظ ببعض أشلائها لتذكرني بما أردت يوماً أن أكون ..

- وعن هواي لا تسأليني !! .. فبعضه منكِ أنتِ .. ابتدأتُه معكِ .. ابتدعتُه منكِ .. فما عدت أخافُ عليه مني .. فلا تسأليني عنه .. أو لماذا حظيتِ دون سِواكِ بكلِ الهوى ؟!

- أما زمني فإنه يستعر داخلي .. يخترق كياني .. ولن أسمح لغصني أن ينحني .. أو يمرض .. أو يشيخ .. وعني أبداً لن يفرقه المكان.

- وأنت مدينتي لك مكانة الربيع من الزمن .. والروح من الجسد .. وزيتك سأرطب به جوعي .. وأنا من سيروض الدلال فيك .

فتحت مدينته كل أبوابها ..أضاءت أنوارها .. اخضرت أوراقها .. كسى عشبها الأرض تهليلاً بقدومه .. دنت منه احتضنته .. أخذته معها .. غمرته سعادة شعر بدفئها يخترق أضلعه ويلهب

نفسه .. وأن حزنه صار من طيات الماضي .. فيما يترقب المستقبل بشوق كبير .. دنت منه صور بائدة غير مؤطرة .. تعبق شذى نفسه وأجداده .. عَلَقَتْ أنفاسه في حلقه .. تراقصت ذكرياته .. جَنَحَ معها مخترقاً كل الأسقف والجدران .. لامس نور القمر .. تسامر معه .. بحث عن مدن أخرى تخصه .. وجد نفسه بعيداً عنها .. ووجدها كسراب أمامه .. سوى أوراقه .. هيأ سطوره .. نفض محبرته .

قلق لامس شغاف قلبه صرخ من وجع الذكريات:-

- يا مدن تؤنسني في وحدتي لك كل ابتهالاتي .. أراك فتحتويني .. أغمض عيني فأسكن فيك .. رأيت التراتيل نائمة بين كفيكِ .. معك تعلمت أن أسبح في بحر الحب .. أن أبكي بلا دموع .. أن أتألم بدون أنين .. معك لن يحترق جوف الرماد .. و بدونك ضاع لحن الليل .

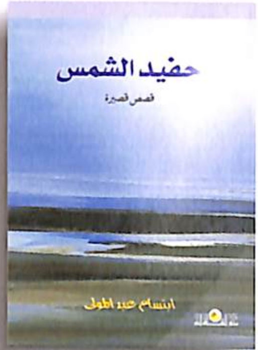
ما مس شغاف قلبه كان لمسة من حيرة .. غرق في حرارة جسده .. احترق رغبة في البوح لكل الدنيا قائلاً :-

- سأتعلم حفاظاً عليك مدينتي وعلى نفسي أن لا أنام .. حتى وإن أوجعني ضوء الشمس .. وكرهني تراب الأرض .. فما زالت الحقيقة أمامي عارية .. وما زال الصقيع لم يرتدِ سترة .. ولا يمكن للموتى يوماً أن يرووا القَصَصْ .

- آآآه ... ... لابد أني غفوت ... !!

هذا ما ردده حينما هنأته المضيفة بسلامة الوصول .

الفهرس



▪ يقدم مجلس الثقافة العام للقارىء الكريم مجموعةً من إصداراته الجديدة المتنوعة، التي تتضمن أجناسًا أدبيةً وفنيةً، تهدف إلى دعم الكتاب ونشر المعرفة وتنمية الذائقة الجمالية وإثراء الحركة الثقافية .. آمِلاً إسهامًا جادًّا يضيف إلى الحراك الثقافي رصيدًا مميزًا وفضاءً جديدًا للمعرفة وللحياة.

مجلس الثقافة العام